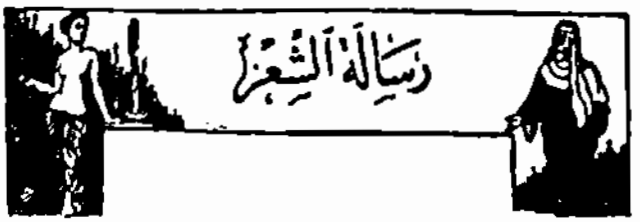

الرؤيا الصادقة

بمناسبة الذكرى النبوية

للأستاذ محمد بهجة الأثري

من لحر بات يشكو الوصبا ... زافراً أنفاسه كاللهب ؟
هاجت «الذكرى» شجاه فصبا ... وانثنى يندب حظ العرب
رب ليل بت موصول الأنين ... يتنزى شجنى مضطرما
باكيا مجد الشموس الأولين ... وزماناً بالمعالى معلما
أمة عزت بدنيا وبدين ... كيف ذلت واستحالت أمما ؟!
شامها ما سام أقوام « سبا » ... فى الليالى زمن ذو ريب
مثلما تعصف ريح بدبى ... عصف الظلم بها فى الحقب

صحت لما ضقت ذرعا بالشجا ... أرقب الليل برقراق الدموع :
أيها الليل ! أما فيك رجا ؟ ... أو ما للصبح من بعد طلوع ؟
ثم أغفيت على هم رجا ... بفؤادى وأنا معى جزوع
فعرانى مثل أحلام الصبا ... طائف فى النوم قد طوف بى
هز أشواق إليه طربا ... ليته فى الصحو يحيى طربى

وتنورت مع الفجر سنا ... طبق الشرق وجاز الغربا
أطلعته البيد منها موهنا ... مشرقا بين « حراء » و « قبا »
ساطعاً يغمر آفاق الدنا ... باعث الحسن يروع النيبا
فاض يهدى فى طريق موكبا ... يتلألا فى الفلا كالشهب
سالت البيد به مصطخبا ... جائشاً فوق وهاد وربى

تارة يعلو أهاضيب الصخور ... لا يبالى ما يلاقى من صعاب
ويخوض الرمل حيناً كالبحور ... مثلما تمخر فلك فى عباب
كلما جد وأضنته الوعور ... يمتلى عزماً شديداً واصطخاب
وإذا رامت رجال مطلبا ... ذللت كل عصى منصب
وإذا استحلى هواها مأربا ... وجدت لذتها فى النصب

لجب راع فؤاد الملكوت ... وثنى الشمس إليه والقمر
لم تشاهد مثله فى العظموت ... هذه الدنيا ، ولم تسمع خبر

كربت من ذعرها منه تموت ... قبل أن يأخذه منها النظر
راعها حتى إذا ما اقتربا ... فرعى أحوالها فى حدب
وجدت أنبل قوم رغبا ... ينشد الخير كريم الرغب

سار يطوى الأرض خفاق اللواء ... كلما مر بقوم عظما
وهو فى كل صباح ومساء ... يفتح المدن ويهدى الأمما
كاد لما ضاقت الأرض الفضاء ... يبتنى بالفتح آفاق السما
وإذا حل بواد أخصبا ... منبتاً أزكى نبات طيب
أمرعت منه البرايا أدبا ... وحياة حرة المضطرب

وتبينت فتى صلت الجبين ... لامع الغرة يجلى من بعيد
حف بالبيض بأيدى الدارعين ... فوق جرد تحتها الأرض تميد
قلت : من ذا ؟ قيل لى : ليث العرين
قلت : من تعنون ؟ قالوا : ابن الوليد

قلت : والأبطال راعت بالطبا ؟ ... قيل لى : سحب النبى العربى
قلت : ما يبغون ؟ قالوا : أربا ... جل عن قصد الهوى والغلب

صاح كالضيغم : ياخيل اهدئى ... ورمى الشرق بلحظ أشوس
قال : هيا ، أبلغينى أربى ... أربى تطهير « بيت المقدس »
فاستطارت فى الفضاء الأرحب ... تنهب الأرض لمز أقعس
واستطارت فى فؤادى لهبا ... لهفة للمشهد المستغرب
ثم شيمت بطرفى الموكبا ... وبنفسى منه كل العجب

قلت للنفس ، وفى النفس جراح ... كلما ذكرتها نفثت دما
وخيول الله تعدو فى البطاح ... ، بين عينى ، تمض اللجما
فوقها كالقدر العاتى المتاح ... كل جبار علا مستلئما :
أنظرى يا نفس هذا العجبا ... أترين القوم أصحاب النبى ؟
كيف لابست زماناً غربا ؟ ... كيف عادت سالفات الحقب ؟

وعلا التأذين فى الفجر الرهيب ... موقظاً تهداوه كل نؤوم
فتيقظت وفى قلبى وجيب ... كحبيس الطير فى كف ظلوم
مطبقاً عينى على الحلم العجيب ... بالتذاذ أتمنى لو يدوم
خلتنى يقظان حتى أكذبا ... حاضر أبصرته عن كثب
صحت لما بان لى منقلبا : ... إن هذا أسوأ المنقلب !

حاضر أقبح به من حاضر ... وثبت فيه على الأسد القرود
قد تجلى عن خؤون غادر ... دغل النيات جياش الحقود

أخضع العرب لحكم جائر قد قضى أن يستنيموا لليهود
لعب اليوم بهم ما لعبا ولكم جد يرى فى اللعب
شقهم لا دولا بل عصبا ثم أشقاهم بحرب العصب !

فيم هاجت بينكم « حرب البسوس »
يا معيدى نكبة « الأندلس » ؟
أعلى الميراث أحقاد النفوس ؟ أم على تسليمه المختلس ؟
أم بقايا من رمال وضروس هيجت من شهوات الأنفس ؟
إخجلوا يا قوم صرتم عجبا فى الدنا ، بل لعنة فى الكتب
ما أضعتم وطناً ، بل حسبا أين من يحمى لرد الحسب ؟

أمة قد أنسيت أوطارها فأدارت فى المناحات الكؤوس
وأثارت للهوى أوتارها والأعادى فى مغانيها تجوس !
فمتى ترحض عنها عارها ؟ ومتى تعبس فى يوم عبوس ؟
إنما يلعب حر غلبا لا حريب مبتلى بالنوب
أو عزيز سيم خسفا فأبى لا الذى أضحى وطئ المركب

لا تلمها ، إنما خذلانها جره التضليل من قوادها
جار عن نهج الهدى ركبانها إذ جروا فوق خطا روادها
كل من تبصره يختانها لا يبين الصدق فى إرشادها
فى سبيل المال .. من قد كتبا جاذب الساسة حبل الكذب
وانثنى الشاعر عما وجبا ومضى ينعت بنت العنب

يا شباب العرب فى شتى البلاد لست أختص شآماً أو عراق
إن لى فيكم وإن عم الفساد أملا أن تحطموا عنها الوثاق
إن جرح العرب محتاج ضماد ضمدوه بدم منكم يراق
وأعيدوا الوطن المغتصبا بالمواضى من يد المغتصب
تبعات الملك شتى أربا سوف تلقى للشباب النجب

أذكروا — بالله — مجد الفاتحين واصنعوه مثلما قد صنعا
لا تقروا ، مالكم غير « الأمين » أسوة فيما نهى أو شرعا
كل جد فى جديد الحاضرين لم يغب عن شرعه فيما وعى
اقرأوا دستوره المنتخبا تجدوه زاخراً بالنخب
هو روح وحياة وهبا صادق الإيمان أسمى الرتب

نسخت آيته فى العالمين آية الشمس بآفاق السماء
وتحدى ما بنى فى الغابرين عادى الهلك وآفات الفناء
وتعالى فوق مجد المالكين مجده الخالد ما دام البقاء
لو وراء الخلد ملك أو نبا لاحتوى محموده من كثب
كذب المطرى سواه كذبا غير مدح التبر مدح الترب

أيها المبعوث بالأمر العظيم جل بارى النور ! ماذا أطلما ؟
جئت والدنيا يغشيها السديم فأنرت الشرق والغرب مما
طلعت شمسك .. لكن فى الحلوم وتسامت عن كسوف مطلعا
كم أزاحت عن عقول سحبا جللتها من ظلام الريب
وجلتها فى الأعالى شهبا هاتكات للدجى والحجب

أنت من علم أمثال « عمر » يتحدى بالفتوح الدولتين
أنت من أطلع أبطال السير مثلما تبدى السماء النيرين
أنت من أحيا الأعاريب الغرر وبهم أحييت أهل المشرقين
ثم مالوا عنك ميلا ، فنبا عزمهم ، واستهدفوا للنوب
وأقلوا فى الحياة الكربا وهوان العيش فى المرعى الوبى

يا رسول الله خير المرسلين يا منيل العرب غايات الفخار
قم تأمل حالهم فى العالمين كيف بعد العز ذلوا فى الإسار
هدموا ماشئت من دنيا ودين فقضى الله عليهم بالبوار
أركضوا الأهواء فيهم خببا ورموا وحدتهم بالشجن
كل من تلقاه ينحو مذهبا ويحهم ! لم يتركوا من مذهب

صدعت بيضتهم أشق الأمم وهو لاهون .. كل بهواه
جدعت منهم خياشيم الشمم وبغى بعض على بعض وتاه
هل سبيل النجح إيقاظ النقم عمه الجاهل شر من عماه !
ليتهم قد أججوها الهيدبى للعدا لا لابن أم وأب
ويحهم ! قد بلغ السيل الزبى غير ذى رفق ، وهم فى حرب

يا نياماً ضيعوا ما ورثوا ضيعوا عهد العلى والشرف !
أفما آن لكم أن تبعثوا سيرة الهادى ومجد السلف
إن « أهل الكهف » قبل ابعثوا من رقاد طال تحت السدف
وأعادوا فى الحياة الدأبا ومنال المجد رهن الدأب
فاستفيقوا وأثيروا العربا طال يا قوم رقاد العرب !

بغداد محمد مهدى الأسدى